ISSN: 2706-6495

التضليل الكلامي في الخطابات الاستعمارية (منشورات نابليون بونابرت إلى الشعب المصري أنموذجًا).

Disinformation in colonial discourses (Napoleon Bonaparte's publications to the Egyptian people as a model).

إعداد الطالبة/ ماريّا دغش مسلط البقمي.

طالبة ماجستير في البلاغة، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الإمام عبد الرحمن بن فيصل، المملكة العربية السعودية.

Email: mariaalbogami1998@gmail.com

الملخص:

يهدف البحث إلى تسليط الضوء على الجانب الخفي -على البسطاء- من السياسة الاستعمارية الفرنسية في مصر والتي اتبّعها نابليون بونابرت من خلال الخطابات المضللة المخادعة والتودد فيها لمسلمي مصر عن طريق اللعب على وتر الدين الإسلامي، السلام، المحبة، والرغبة في تطوير مصر؛ ليكسب ود المصريين وثقتهم فيكفوا عن مقاومته ومحاولة طرده من بلادهم وهذا سيجعله يتوغل بينهم وينجح في مخططاته من دون أن يتكبد أي خسائر في الجيش أو السلاح. وتكمن أهمية البحث في كشف خبايا هذه الخطابات الخبيثة وتأثيرها النفسي على المصريين ومقاومتهم، وتحليل أساليب هذه الخطابات وألفاظها المنتقاة. واستخدمنا المنهج الوصفي التحليلي الذي من خلاله درسنا ظاهرة التضليل الكلامي وحللناها وتوصلنا إلى نتائج هذه الخطابات والتي كانت مدمرة. وسنتطرق لذكر جهود المستشرقين وتعاونهم مع المستعمرين في كتابة الخطابات وكيف استغلوا خبرتهم في الإسلام ليحاربوا به المسلمين. وفي النهاية سنعرض النتائج والتوصيات في أهمية تعلم اللغة العربية والعقيدة الإسلامية الصحيحة لكافة طبقات المجتمع لما فيهما من أهمية بالغة لا يُستهان بها لدرجة أن أعداء العرب عامة والمسلمين خاصة استخدموهما كسلاح للسيطرة على المسلمين ونجحوا في ذلك والأمثلة لهذا كثيرة. وكما أن الجهل في اللغة العربية والدين الإسلامي نقطة ضعف كبيرة، فعلمنا بهما سيعطينا الوعي الكافي بالثغرات التي يحاول العدو الدخول من خلالها بين صفوف المسلمين لخلخلتها سواءً في الإعلام أو الخطابات الخبيثة.

الكلمات المفتاحية: الخطابات الاستعمارية، نابليون بونابرت، المستشرقين، التضليل الكلامي.

ISSN: 2706-6495

Disinformation in colonial discourses (Napoleon Bonaparte's publications to the Egyptian people as a model).

Abstract

The research aims to shed light on the hidden side - on the simple ones - of the French colonial policy in Egypt, which Napoleon Bonaparte pursued through misleading speeches and courting the Muslims of Egypt by playing on the chord of the Islamic religion, peace, love, and the development of Egypt; In order for him to gain the affection and trust of the Egyptians, so that they stop resisting him and trying to expel him from their country, so he succeeds in penetrating among them and carrying out his plans without losing the army or weapons. The importance of the research lies in revealing the secrets of these malicious speeches and their psychological impact on the Egyptians and their resistance, and in analyzing the methods of these speeches and their selected words. We used the descriptive analytical method through which we studied and analyzed the phenomenon of disinformation and reached the results of these discourses. We will discuss the efforts of the Orientalists and their cooperation with the colonialists in writing letters and how they exploited their experience in Islam to fight Muslims with it. In the end, we will present the results and recommendations regarding the importance of learning the Arabic language and the correct Islamic faith for all classes of society, because they are of great importance that cannot be underestimated, to the extent that the enemies of Arabs in general and Muslims in particular used them as a weapon to control Muslims. Our knowledge of them will give us sufficient awareness of the gaps through which the enemy is trying to enter among the ranks of the Muslims in order to break them, whether through the media or malicious speeches.

Keywords: Colonial Discourses, Napoleon Bonaparte, Orientalists, Verbal Disinformation.

ISSN: 2706-6495

1. المقدمة:

استهدف نابليون بونابرت مصر؛ ليفرض نفوذه على البحر المتوسط، وضم وادي النيل إليه؛ لما فيه من الخيرات الكثيرة التي تغني فرنسا عن المستعمرات الفرنسية البعيدة عنها. ومكانة مصر التجارية العظمى بسبب موقعها الاستراتيجي الذي يجعلها قريبة من الأسواق العالمية في كلٍ من أوروبا والشرق الأوسط، ووجود قناة السويس كممر مائي مهم وحلقة وصل بين الشرق والغرب. ومن إحدى سياسات نابليون التي استخدمها هي التلاعب بالدين وهذا بديهي فهو القائل " مجتمع بدون دين مثل مركب بدون بوصلة" كان الدين هو الورقة الرابحة التي استغلها ضد المسلمين فهو مستعد لتغيير دينه والتودد لأصحاب الدولة أو المناطق التي يحاول فرض سلطانه عليها مهما كان دينهم أو معتقدهم وأفعاله تثبت ذلك فلم يكن المسلمون وحدهم من حاول نابليون السيطرة عليهم من خلاله التودد لهم عن طريق دينهم بل فعل نفس الشيء عندما حاول فرض هيمنته في بلاده فرنسا واستمال المسيحيين له عن طريق دعمه للمسيحية وإدعائه الولاء لها. وكذلك تودد ليهود العالم حينما وجه رسالة لهم وناداهم فيهم بقوله: "يا ورثة فلسطين الشرعيين" وكل ذلك لمصلحته فقد كان يعلم بثروات اليهود الهائلة التي يمكنه استغلالها في حربه هذا بالإضافة لقدرتهم على تخريب المناطق التي يستهدفها نابليون فيسهلوا عليه مهمته فتقرب منهم من خلال هذا الخطاب. لقد كان نابليون يرى أنها سياسة مهمة وأن الغاية تبرر الوسيلة ولقد استخدم اللغة وعاءً للتعبير عن ولائه الكاذب للدين لهذا فاللغة مهمة جدًا واختيار الأسلوب والألفاظ المناسبة لا يقل أهمية عن موضوع الدين الذي يلعب هذا الجنرال الخبيث على أوتاره لأن الأسلوب الغير مناسب في الكتابة سيفسد عليه محاولة التودد التي لن تنجح إلا بالفكرة المناسبة والأسلوب المناسب في الخطاب. الكثير من أقوال نابليون تدل على خبرته بالتأثير على الناس والتلاعب بهم نفسيًا سواءً في الخطابات أو في التعامل ومن أقواله التي تدل على ذلك: "عماد القوة في الدنيا اثنان: السيف والقلم أما السيف فإلى حين وأما القلم فإلى كل حين السيف مع الأيام مكروه ومغلوب والقلم مع الأيام غالب ومحبوب". "لا نحكم شعبا إلا بأن نريه المستقبل، القائد هو تاجر الأمل". وهذا القول الأخير كلمة "تاجر الأمل" تدل على خداعه للمسلمين وغيرهم ودليل ضد كل من يدّعي أن نابليون قد أحبّ الدين الإسلامي لم يكن سوى رجل بارد يتاجر بمعتقدات الناس وأحلامهم ومشاعرهم في سبيل أهدافه.

1.1. مباحث البحث:

وسيتطرق البحث إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول (نظري): أساليب المستعمر في التلاعب بخطاباته.

المبحث الثاني (نظري): سيكولوجية الجمهور وتأثير التضليل عليه.

المبحث الثالث (تطبيقي): تحليل لمنشورات نابليون بونابرت.

2.1. أهمية البحث:

كشف النقاب عن الجانب الخفي لسياسة الاستعمار الفرنسي المضللة وبيان خطورة التلاعب بالكلام والتضليل بالدين وتأثيرهما على الشعوب خصوصًا الطبقة العامة البسيطة؛ لما في بسطاتهم وجهلهم من انعدام للحصانة الفكرية التي تحميهم من التأثر فيسهل خداعهم وتسييرهم لصالح أعدائهم من دون أن يدركوا.

3.1. تساؤلات البحث:

1- كيف تمكن المستعمر من السيطرة على العربي باستخدام لغة ودين هذا العربي نفسه؟
2- ما هي أساليب التلاعب بالكلام التي استخدمها المستعمر؟

4.1. أهداف البحث:

1- تسليط الضوء على أساليب التضليل المتبعة في الخطابات لخداع الجمهور.
2- تحليل لسيكولوجية الجمهور المتلقي للخطابات الاستعمارية والآثار النفسية المترتبة عليهم.
3- ذكر دور المستشرقين في كتابة الخطابات الاستعمارية وتطويعها لمصلحة المستعمرين.
4- ذكر مواقف نابليون على أرض الواقع في التودد الكاذب للشعب المصري لإثبات الصورة التي أوصلها لهم عنه في خطاباته.

2. أساليب المستعمر في التلاعب بخطاباته.

يستعمل الخطاب الاستعماري الكثير من الأساليب؛ لتغلغل في عقول ضحاياه وهي أساليب مفضوحة ومكشوفة ولكن حالة الشعوب المستعمرة عامة والشعب المصري خاصة –لأنه موضوع بحثنا- تسببت في خضوع البعض وليس الكل؛ لأن التاريخ أثبت فشل نابليون في تخدير الشعب المصري ولكنه نجح في التأثير على بعض الشيوخ بل وجعلهم يكتبون خطاباته. ومن أساليب التضليل الكلامي المعاصر:

التلاعب الدلالي:

وهو فقدان العلاقة بين الملفوظ وسياقه الدلالي، وسياقه الاجتماعي، والطبقي، وسياقه السياسي. وأيضًا لا يخفى على المتخصص استعانة القوى المعنية بالمثقفين؛ لمعرفتهم الدقيقة من أين يضربون ضربتهم باستغلال اللغة التي درسوا أسرارها وأصبحت سلاحًا بأيديهم للسيطرة على العقول (بكر، 2020). ومن أجل ذلك يتم تزييف منظومة ضخمة من الكلام ويقوم بضخها وسط أوساط الجمهور عن طريق الإعلام والدعاية والخطابات أو حتى الأحاديث اليومية كما فعل جنود الاستعمار الفرنسي مع الفلاحين المصريين عندما ادّعوا الإنسانية والرحمة مظهرين في ذلك البساطة والبراءة والمحبة في أحاديثهم البسيطة مع العامة.

فلسفة اللوغوس الكلامي.

وهي فلسفة كلامية تستخدم التحريك والتهويل والتخويف والاقناع والتضليل مستهدفةً الرأي المشتت والضعيف والمتناقض. وهي تلعب على وتر "ازدواجية الشعور المتناقض" فتهيجه، وتلجمه، وتحزنه، وتفرحه، يحرضه ويشوقه (يونان، 2011).

إيحائية الكلام:

ومن أمثلته التحدث بقوة شديدة والتهويل الكلامي مع عدم وجود ألفاظ صريحة للعنف لكن الأسلوب القوي يعطينا إيحاءً بعنف المتكلم (يونان، 2011) وإشارة واضحة لتهديدٍ غير مباشر وهذا الأسلوب مضلل جدًا ولو أن المتكلم أشار صراحةً على العنف لهاجمه المتلقون مباشرةً لكنه عوضًا عن ذلك استخدم الإيحاء بالأسلوب الشديد والتهويلي للأمور فلا هو الذي أفصح عن عنفه ليفهموا حقيقة ما يجري من حولهم ويتصرفوا على هذا الأساس، ولا أشعرهم بالأمان بل أبقاهم في حالة من الخوف والقلق وبرأينا أن هذا أسلوب قاسي جدًا على نفسية الجمهور الذين كانوا وقتها في قبضة أصحاب الخطاب لأنه يخلق حالة من الضياع الذي يؤثر بشكل لا يُستهان به على نفسية البشر مما يسَهل التلاعب بهم فالإنسان الضائع سيتمسك بأي شخص أو أي شيء يظنه مفتاح

النجاة وهذا ما كان الفرنسيون يفعلونه في كثير من الأحيان وهو إيهام الشعوب التي اضطهدوها أنهم ما فعلوا ذلك إلا لإنقاذ هذه الشعوب وأراضيها. فتارةً يرعبونهم بإيحاءات العنف؛ لكي لا يجرؤوا على المعارضة وكما أسلفنا الإيحاء أسلوب نفسي يسبب الشتات والضياع للسامع فيستغلون هذا الشتات الذي يوجب الرغبة الشديدة في النجاة عندها يصبحون فريسة سهلة لأوهام المستعمرين في الحياة الكريمة وهنا يأتي دور الخطابات المتاجرة بالعدالة والسلام وبالنسبة لنا نرى أن الخطابات الاستعمارية مكملة لبعضها البعض.

التسميم الكلامي:

وهو نوع من التضليل الكلامي، يهدف إلى تدمير الخصم معنويًا ونفسيًا وفكريًا وإداريًا، يستخدم في جميع الأمكنة والأزمنة بواسطة الدعاية الإعلامية. ومن أهم مفاعيل التسميم الكلامي، إثارة الرعب والخوف والتدمير النفسي والمعنوي وإثارة البلبلة الفكرية والقلق النفسي، وأهم تمظهراته قلق الانتظار (يونان، 2011).

اختلاق وقائع غير موجودة عن طريق الشعر والبلاغة:

لطالما كان دور الأدب بارزًا منذ القديم وتأثيراته طويلة الأمد على متلقيه سواءً كان شعرًا أو نثرًا ولطالما أُستخدم الأدباء لبلاغتهم وفصاحتهم وخبرتهم بأسرار الكلام ومخيلتهم الواسعة وألسنتهم اللاذعة كسلاح ضد الأعداء فكانت الجهات المتعادية تتنابز وتضلل ضد بعضها عن طريق الشعراء والكتّاب (يونان، 2011).

وكان نابليون يحاول التقرب للمسلمين في ذلك الوقت ولكنهم كانوا مرتابين جدًا؛ بسبب مبالغته الواضحة وأساليبه المفضوحة حتى أنه بعد فترة قصيرة لم يتحمل الاستمرار في تمثيل دور "المنقذ الطيب" بسبب الظروف المحيطة التي ألجاته إلى إظهار عدائه فظهر وجهه الحقيقي وأمر بقطع أعناق الذين يعارضونه. فشعوره بالحصار في مصر، وإعلان السلطان العثماني الحرب على نابليون –والذي من المفترض أنه صديق نابليون؛ لاشتراكهم في نفس الدين- فقطع المسلمون الشك باليقين وأن الفرنسيين قد تاجروا بآمال العرب وعندها اشتعلت "ثورة القاهرة" (سمير، 2001) ولكنه مع هذا قد بذل جهدًا كبيرًا في استمالة المسلمين لدرجة أنه قيل قد لبس العمامة والثوب الشرقي وحضر مناسبات دينية ودخل المسجد واستمع لخطبة الجمعة، وهنأ المسلمين برمضان ووضع مدفع الإفطار لتنبيه الصائمين، وجالس شيوخ الازهر يسألهم عن الإسلام ووعدهم بالإسلام، احتفل بالمولد النبوي وفعل الكثير من الأمور التي لا يسعنا المقام لذكرها. وقد كتب تلك الخطابات الخبيثة مجموعة من كبار المستشرقين بأمر من نابليون ومنهم: مونج ورجاله، وفنتورا ومارسيل وسولكو فسكي والبارون دتوت وغيرهم (الشرقاوي ، 2015). واستغلوا خبرتهم في الدين الإسلامي ليضربوا على الأوتار الحساسة كاستغلالهم لعقيدة القضاء والقدر وإخبار المصريين بأن قدوم الفرنسيين ما هو إلا عقاب من الله على المماليك ولا يجب على المصريين رد انتقام الله مستغلين في ذلك العقيدة ووضع المصريين المؤلم ومقاومتهم للمماليك التي أرهقتهم طويلاً. وبرأينا أن أي أحد واعٍ ومدرك سيفهم دجلهم من أول وهلة ولكن لابد أن نضع بالحسبان وضع المصريين المزري في ذلك الوقت والذي يمكن أن يجعلهم يرضخون على الرغم من إدراكهم لدجل المستعمر؛ ليتخلصوا من المماليك وسلطتهم فلا يمكننا الحكم بمنأى عن الحالة النفسية للمتلقي ونسقط نفسية القارئ الذي لم يذق مرارة القمع على المتلقي الذي تجرّع الذل وجعلها معيارًا للحكم، فهذا أسلوب غير موضوعي بنظرنا فكما قال مارك توين: "ما أسهل الحديث حين مالا تكون المصيبة مصيبتك".

ويرى تشومسكي أن هناك 10 استراتيجيات لتلاعب بوعي الشعـوب حددها بما يلي:

ـ استراتيجية الإلهاء.

ـ استراتيجية اصطناع المشاكل وتقديم الحلول.

ـ استراتيجية التدرج.

ـ استراتيجية المؤجل.

استراتيجية مخاطبة الشعب كأطفال صغار.

ـ استراتيجية استثارة العاطفة بدل الفكر.

ـ استراتيجية إبقاء الشعب في حالة جهل وحماقة.

ـ استراتيجية تشجيع الشعب على استحسان الرداءة.

ـ استراتيجية تعظيم الإحساس بالذنب لدى المواطن.

ـ استراتيجية معرفة الأفراد أكثر مما يعرفون أنفسهم (بكر، حرب المعلومات، 2017).

وفي كل ذلك لا يمكن إغفال أن لبعض أصحاب الخطاب الديني من المسلمين أنفسهم دورًا في مساعدة الغرب على التلاعب بالدين، فبينما يكون الناس مشغولين بالحريات والحقوق للمواطنين، أو تحديث مناهج التعليم يطلق البعض جدلاً حول فتاوى تتعلق بالشكل ويغرق المجتمع في بحر من المناقشات الشكلية، حتى لو كانت ذات أهمية في الأخلاق والعبادة فإنها لا تؤثر في المجتمع في عمومه ولا تمثل أولويات رانت على المجتمعات الإسلامية فيها سحب التخلف والانهزام وتداعت عليها الأمم كما تتداعى الآكلة على قصعتها (عمار ، 2017).

3. سيكولوجية الجمهور وتأثير التضليل عليه.

ما إن يجتمع عدد من الكائنات الحية، سواءً أكان الأمر يتعلق بقطيع من الحيوانات أو جمهور من البشر، حتى يجعلوا أنفسهم بشكل غريزي تحت زعيم ما، أي محرك للجماهير أو قائد لهم. والفرد عندما ينخرط الفرد في الجماعة فإن شخصيته تذوب بين الجماعة ويفقد استقلاليته لدرجة أن يصل إلى مرحلة يقدم فيها مصلحة الجماعة على مصلحته (جوستاف، 1991). الجمهور ساذج عاطفي إلى حد كبير، كثير الاندفاع قليل الثبات، متطرف في كل شيء، قابل للإيحاء، مستهتر في تحكمه، متسرع في حكمه فهو شبيه بالطفل الذي لا يفكر بعقله بل يتبع عاطفته بلا تردد؛ ولهذا لطالما كان من السهل استمالة الجمهور (خليل ، 1952). أنفق نابليون وقته أثناء الرحلة إلى مصر على دراسة الكتب الدينية والتي يعتبرها كتب سياسية.

وقد سجل في مذكراته فقرة تكشف طبيعة المؤامرة التي في رأسه فقد ذهب إلى مصر وهو يحلم بأن يكون كالإسكندر الأكبر في قوله: "إن الأفكار الدينية كانت على الدوام مسيطرة على الشعب المصري في شتى العصور، وقد أثار انتباهي عندما جاء الإسكندر الأكبر كان يفهم هذه العقلية فزحف من الإسكندرية إلى معبد آمون في مدة لا تزيد عن أسبوعين دون مقاومة؛ لأنه أعلن إيمانه إيمانه بالآلهة المصرية، وقد حقق بهذا الادعاء مما كان يحققه لو بنى عشرين حصنًا وعزز جيشه بمائة ألف مقاتل مقدوني" (توفيق، 2021). ولكن مع هذا قد فشل نابليون في إحكام السيطرة على المصريين وذلك بسبب مبالغته الواضحة وتصرفاته

المثيرة للشك لقد كان المصريون يشكون فيه منذ البداية ولكنهم انقلبوا عليه بعد أن أظهر وجهه القبيح وبدأ يبطش بهم علانية وقامت ثورة القاهرة عليه وما زاد حظ نابليون سوءًا هو الخطابات التي كانت ضده تهيج الشعب لقتاله.

4. تحليل لمنشورات نابليون بونابرت.

المنشور الأول:

"بسم الله الرحمن الرحيم، من أمير الجيوش الفرنساوية خطاباً إلى كافة أهالي مصر الخاص والعام. نعلمكم أن بعض الناس الضالين العقول الخالين من المعرفة وإدراك العواقب، أوقعوا الفتنة والشرور بين القاطنين في مصر، فأهلكهم الله بسبب فعلهم ونيتهم القبيحة، والبارئ سبحانه وتعالى أمرني بالشفقة والرحمة على العباد. فامتثلت أمره وصرت رحيمًا بكم شفوقاً عليكم، ولكن حتى كان حصل عندي غيظ شديد وغم شديد بسبب تحريك الفتنة بينكم، ولأجل ذلك أبطلت الديوان الذي كنت قد رتبته لنظام البلد، والآن توجه خاطرنا إلى ترتيب الديوان كما كان، والعاقل يعرف أن ما فعلناه بتقدير الله تعالى وإرادته وقضائه، ومن يشك في ذلك فهو أحمق وأعمى البصيرة. واعلموا أيضا أن الله قدر في الأول هلاك أعداء الإسلام وتكسير الصلبان على يدي، وقدر في الأزل أنى أجيء من المغرب إلى أرض مصر لهلاك الذين ظلموا فيها، وإجراء الأمر الذي أمرت به، واعلموا أيضا أن القرآن العظيم صرح في آيات كثيرة بوقوع الذي حصل، وأشار في آيات أخرى إلى أمور تقع في المستقبل، وكلام الله في كتابه صدق وحق لا يتخلف، واعلموا أيضا أنني أقدر على إظهار ما في نفس كل أحد منكم لأنني أعرف أحوال الشخص، وما انطوى عليه بمجرد ما أراه، وإن كنت لا أتكلم ولا أنطق بالذي عنده، ولكن يأتي وقت ويوم يظهر لكم بالمعاينة أن كل ما فعلته وحكمت به فهو حكم إلهى لا يرد".

يظهر لنا بجلاء مثاليته الزائدة المكشوفة بتصوير نفسه بالقائد المؤمن الذي لا يعصي لله أمرًا لدرجة أنه أتى من أوروبا لطاعة الله وإحقاق العدل. والأسوأ من ذلك وصف المقاومين بالضلال والعمى عن البصيرة بينما هم المبصرون حقًا وهم أصحاب الحق لكن لجاء للكذب وقلب الأدوار حيث يصبح الظالم هو البطل والمناضل هو المجرم الفاسق الذي يعصي أمر الله وبرأينا أنه وضع نفسه موضع الضحية نوعًا ما وهذا الأسلوب شائع جدًا عند الكثير من الناس النرجسية حتى في أحاديثهم اليومية فعندما يكون خطؤه مكشوفًا لدرجة أنه لا يستطيع تبرير نفسه يبدأ بلعب دور الضحية والطرف المقابل هو المخطئ محاولةً منه لقلب الطاولة.

ومع أننا لم نتعرض لسيكولوجية نابليون بالدراسة ولكن بوادر النرجسية ظاهرة على تصرفاته. وأعلن أنه رسول من عند الله جاء لإحقاق الحق وأن الله هو من أراد ذلك فلا تجوز المعارضة. واستخدم في نهاية خطابه التهويل وذلك في قوله: " واعلموا أيضا أنني أقدر على إظهار ما في نفس كل أحد منكم لأنني أعرف أحوال الشخص، وما انطوى عليه بمجرد ما أراه، وإن كنت لا أتكلم ولا أنطق بالذي عنده" وفي نظرنا هو تهديد غير مباشر للشعب المصري بأن لا يحاولوا المقاومة لأنه يعرف خبايا نفوسهم وسيكشف نيتهم في مقاومته قبل أن يطبقوها على أرض الواقع.

والعبارة الأخيرة توحي بثقة كبيرة في قوله: " ولكن يأتي وقت ويوم يظهر لكم بالمعاينة أن كل ما فعلته وحكمت به فهو حكم إلهي لا يرد".فهو يعطيهم إحياء بالندم وكأنه يقول: لا تحاولوا مقاومتي عليكم تصديقي، لأنه سيأتي يوم وتظهر الحقيقة وستندمون عندها لمحاولاتكم. وفيه أيضاً إحياء بالوعد وكأنه يقول: أنا حليفكم وأعدكم أن ستعرفون حقيقتي وصدقي وحسن نيتي مع الأيام. وفيها تناقضان مخيفان فهو يخيفهم ويطمئنهم في نفس الوقت وهو وضع مشتت حقًا.

المنشور الثاني:

"أعلموا أمتكم أن الله قدر في الأزل هلاك أعداء الإسلام على يدي، وقدر في الأزل أن أجيء من الغرب إلى أرض مصر لهلاك الذين ظلموا فيها، وإجراء الأمر الذي أُمرت به، ولا يشك العاقل أن كل هذا بتقدير الله وإرادته وقضائه. وأعلموا أيضًا أمتكم أن القرآن العظيم قد صرّح به في آيات كثيرة بوقوع الذي حصل، وأشار في آيات أخرى إلى أمور تقع في المستقبل، وكلام الله في كتابه حق وصدق".

لا يختلف هذا المنشور عن سابقه ولكن التوقيت مؤثر جدًا في نفسية المتلقي؛ لأن المنشور الأول جاء بعد نزوله لمصر مباشرةً، أما المنشور الثاني فقد جاء بعد قطعه لأعناق الثوار ومحاولته جعل الإعدام سريًا، وبالتأكيد فصورته مهزوزة في نظر المصريين بعد هذا الحدث. ونرى بأنه ارتكب خطأً عندما قال " أمتكم" فهذا يهز صورة الحليف التي لا يزال يحاول تلميعها على الرغم من انكشاف كل شيء فلو كان حليفًا حقًا لقال: "أمتنا" مع أنه خطأ بسيط لكنه مدمر تزامنًا مع قتله للمناضلين. لجاء للتخويف من معارضة حكمة الله في جعل نابليون المنقذ وقال: بأن الله قد صرّح في كتابه بأمور وقعت وأمور غيبية والقرآن كان مصيبًا في كل شيء ذكره فاحذروا من معارضة ربّ هذا القرآن المعجزة.

وقوله: "لا يشك العاقل أن كل هذا بتقدير الله وإرادته وقضائه" فهي محاولة منهم لتصوير معارضيه بالجنون، وأن كونه المنقذ هي حقيقة لا جدال فيها لدرجة أن مجرد التفكير بمعارضته يُعتبر جنونًا. وهذا أيضًا من أساليب النرجسي فعندما يشك فيه أحد يبدأ بإيهام الطرف الشك بأنه مجنون وواهم.

المنشور الثالث:

"لقد أخبروكم بأنني أتيت لأدمر دينكم، لا تصدقوهم، بل جئت لاستعادة حقوقكم ومعاقبة المغتصبين، كما أنني أحترم الله وأقدر الرسول والقرآن".

وهذا الخطاب القصير الساذج هو أول ما قاله نابليون عندما وطئت قدميه مصرًا ومن الواضح أنه مرتجل وليس مكتوبًا من قِبل مستشرق متخصص؛ لما فيه من البساطة والسذاجة وعدم تطويع الدين مسائل دينية حساسة للخداع.

5. الخاتمة والتوصيات:

وهكذا تم توضيح حقيقة الاستعمار الفرنسي المجرم وأهدافه الحقيقية ولكننا لا ندرس التاريخ للمتعة أو للترف الثقافي بل للتعلم منه وعلى الرغم من أن الاستعمارات انتهت منذ وقت طويل –ولله الحمد- ولكن سياسة التضليل الكلامي لا تزال موجودة في الإعلام الغربي يدّعون الإنسانية وحقوق الإنسان ويتهمون العرب بالرجعية ولا يرونهم سوى حشرات يجب سحقها أو جراثيم يجب تنظيف الأرض منها وهذا هو سبب قسوتهم مع العرب في الاستعمار حتى أن الأم الفرنسية في السابق كانت تقول لابنها: " هل ستسكت أم أحضر لك العربي؟" صوّرت الأمهات الفرنسيات العرب لأطفالهن على أنهم وحوش وهذا بالتأكيد يفسر سبب انعدام رحمتهم بالعرب فقد تغذوا بالحقد منذ الصغر.

ومما يدل أيضًا على استحقارهم الواضح للعرب هو وصف الروائيين الغرب في روايتهم الاستعمارية للإنسان العربي "بالعربي الصغير"؛ كنايةً عن احتقارهم وتصغيرهم. وهذا رد على كل من يدّعي أن عنصرية الفرنسيين أو غيرهم من الأوربيين هي حالات فردية فهذا غير منطقي إذا كانت النخبة لديهم من: مستشرقين، وروائيين،

وقادة الحرب قد أظهروا عنصريتهم فهذا يعني أنها ظاهرة منتشرة لدرجة أن الأطفال قد طالتهم هذه الأفكار الحاقدة. وإننا نظن بأن فكرة استمالة الشعوب من قِبل الجيش المستعمر كانت فاشلة منذ البداية لأنه لا يمكن لأي إنسان أن يطمئن لمن غزا بلده وحاول فرض هيمنته، والمستعمرين لن يتمكنوا من الانسلاخ من أحقادهم وتقمص شخصيات لطيفة ومُحِبة وهذا ما حصل بالفعل لقد بانت حقيقتهم بسرعة. ومع أن التضليل في الخطابات الاستعمارية فشلت لطبيعة الاستعمار المناقضة لخطابات السلام، فللأسف قد نجح هذا التضليل في الإعلام في الوقت الحالي من تشويه صورة العرب عامة والمسلمين خاصة. وهذا ما قصدناه بأنه يجب أن نتعلم من التاريخ؛ لأنه يعيد نفسه وإن كان بطريقة مختلفة. وبسبب جهل المسلمين لدينهم وفهمهم المتطرف للإسلام والذي ظهر واضحًا في وسائل الإعلام بالإضافة إلى ممارسته في أرض الواقع قد دعم المضللين في خطاباتهم الحاقدة وهذا يوصلنا لعدة توصيات:

1- ضرورة تعلم الدين الإسلامي الصحيح والبعد عن التطرف والتعصب وتحكيم المنطق مع الأخلاق الإنسانية في دراسة الدين والتفكير مليًا في كل ما يتعلمه المرء في دينه، والسعي الدائم لتحسين فهمه للدين وترك الكبر الذي يفضي إلى التعصب فبالتالي رفض التعليم والتأمل.
2- ضرورة تعلم اللغة العربية وفهم أسرارها فهي لغة عظيمة تساعد على تمرين العقل؛ لما فيها من الدقة والتعقيد –ولا نقصد وصفها بالتعقيد من باب الذم بل هي معقدة من شدة دقتها- والمعرفة التامة بها يجنّب أن يتم استغلال العربي عن طريق التلاعب بلغته.
3- لا تزال سياسة التضليل الغربي ضد العرب ولا بد من التنبه لهذا وفهم الأمر برمته كي لا يقع المرء ضحية لتلك الأكاذيب، ونرى بأنه لا بد من الاطلاع على التاريخ الغربي الدموي للوقوف على حقيقة ادعاءاتهم الكاذبة.

6. المراجع:

1- بكر، ياسر، 2017م، حرب المعلومات، ط2، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر.
2- بكر، ياسر، 2020، شعب من الأوز مقدمة في علم اللغة الاجتماعي، ياسر بكر، القاهرة، مصر.
3- توفيق، أشرف مصطفى، 2021م، على سور الأزبكية، وكالة الناشر العربية، القاهرة، مصر.
4- خليل، نظمي، 1952، المجلد التاسع والثمانون، نفسية الجماهير، مجلة المقتطف، القاهرة، مصر.
5- الشرقاوي، محمد عبد الله، 2015م، الاستشراق وتشكيل نظرة الغرب للإسلام، ط2، دار البشير للثقافة والعلوم، القاهرة، مصر.
6- عطا، سمير، 2001م، العدد 294، إسلام نابليون، مجلة الفيصل، الرياض، المملكة العربية السعودية.
7- لوبون، جوستاف، 1991م، سيكولوجية الجماهير، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، لبنان.
8- مصطفى، محمد عبد الفتاح، 2017م، الخطاب الديني، دار كنوز، القاهرة، مصر.
9- يونان، كلود، 2011م، التضليل الكلامي وآليات السيطرة على الرأي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.

جميع الحقوق محفوظة © 2023، الباحثة/ ماريّا دغش مسلط البقمي، المجلة الأكاديمية للأبحاث والنشر العلمي

(CC BY NC)

Doi: https://doi.org/10.52132/Ajrsp/v5.50.22